أوجاع على المنصة

مجموعة قصصية ل..

إبراهيم عمر مهران

العنوان: أوجاع على المنصة
الصنف: مجموعة قصصية
المؤلف: إبراهيم عمر مهران
تنسيقات طباعة: م.هالةمحمود
تمت مراجعة الكتاب لغويا ونحويا بمعرفة الكاتب
مقاسات الكتاب: ١٤*٢١
عدد صفحات الكتاب: ١٠٠
طبعة أولى: ٢٠١٨
تصميم غلاف: م. أميرعبدالوهاب
الناشر: النوارس للدعاية والنشر
رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية: ٢٠١٨/٢٠٢٤٣

الإسكندرية ش ٤٥- ميامي ج.م.ع
ت: ٠١٢١١٩٩٩٠٨٩ ٠٣/٥٤٩٠٩١١
Elnwares.advertising@gmail.com
للتواصل على فيس بوك
/https://www.facebook.com/groups/322676661399274

لا يسمح بطباعة هذا الكتاب أو تصويره أو نسخه بأي طريقة ورقية أو إلكترونية إلا بإذن خطي ومسبق من المؤلف..

الإهداء

إلى أنّة كل مكروب راح يبحث عن بصيص أمل بين جنبات قاعة محكمة وأمام منصة قاضٍ عادل يخاف ربه .

إلى كل قاضٍ عادل يعلم أن ما ينطقه على أي متهم يمثل أمامه هو حكم الله ومُراده فيه، فيراقب مولاه ويتحرّى قبل أن يقول شيئا .

إلى كل محامٍ يقف بشرف بجانب الحق، وينتصف للمظلوم حينما يثبُت له بفطرته السليمة أنه مظلوم، فينام مستريح الضمير هاديء البال .

إلى أبي الحبيب الغالي العزيز إلى قلبي، الذي تمنيت مرات ومرات أن يعيد الله إليه روحه فأبصره ويجالسني، ويفخر بي كما كان يفخر كعادته حينما كان يرى تقديري في الكلية (جيد جدا) .

شكر واجب

كل التحية والتقدير أتقدم بهما إلى إخوتي الأجلاء السادة المحامين الذين لم يبخلوا عليّ في تقديم معلومات عن المحاكم والقضاء والمحامين أنفسهم ، وأطلعوني على كثير من القضايا ، ودارت بيني وبينهم نقاشات ، حاولت من خلالها أن تكون نقاشاتهم معي نبراس نور أضيء به ما أظلم عندي من عدم دراية بما أخوض فيه ، فلهم كل الشكر والتقدير ...

مقدمة

بعد أن نبدأ مستعينين بالله وحده، وأحمده أن وفقني إلى أن أسطر مثل هذه الكلمات، وبعد فإن بين أيدي حضراتكم بعضا من أنّات وصرخات لمجتمعنا، وما نعانيه ويعانيه الكثير منا ، قصص من الواقع، منها ما استخلصته من وقائع مرصودة على صفحات الجرائد، وسجلته قاعات محاكم حقيقية، صغتها بأسلوب قصصي، وحوار تخيلي، ومنها ما هو من نسج الخيال لكنه ارتبط كثيرا بالواقع.

وكم في الحياة من مبكيات!، وكم يعاني فيها الناس أشد المعاناة وهم في معتركها ترى منهم وفيهم وفيها العُجب العجاب، ولا غرو فلقد صرنا في آخر الزمان، وهنا كان لا بد أن نشير إلى جانب من جوانب هذه الملحمة الكبرى بين البشر وعدوهم الأول (الحياة) بلا منافس!.

حاولت أن أشارك قارئي مشاعر تجيش بقلوب المتعبين والمعذبين، محاولا أيضا أن نتخلص من عبء المادية، والحياة التي أخذتنا فانتزعت منا إنسانيتنا، وصار كل فرد فينا مشغولا

بما هو فيه، ويكاد الإحساس بالآخر ينعدم، فتتفشى الجرائم، وتنقطع الصلات .

مجموعة قصصية، كل قصة منفصلة عن شقيقتها، تحكي واقعا أسيفا من أحوال الناس، تتردد أصداؤها بين جنبات قاعات المحاكم، لكنني حاولت أن أربط بين كل منها بخيط قوي، يجمع شتاتها، ويشد من أزرها، محاولا أن تكون كُلاً متماسكا، وكان هذا الخيط القوي هو (قاضٍ)، تُعرض عليه كل مرة حكاية، نعيشها سويا .

حاولت أن أبرز القاضي بإنسانيته، فنشاركه خواطره، وما يجول بخُلْدِه، وما ينتابه من مشاعر ، ويحاول كثيرا أن ينحيها، وما يعترضه من أفكار جرّاء القضايا التي تُعرض عليه كل يوم، كما نشاركه حيرته أحيانا فيما يفصل فيه من القضايا .

حاولت أن أشير إلى مقدمة عن القاضي وشخصيته وتربيته ونشأته، وكان القاضي جزءا من خيالي، والواقع يمتلأ بنماذج مشرفة من القضاة العادلين الذين يخافون ربهم، ويتقونه في كل حركة وسكون، كان بطلنا قاضيا من الطراز الفريد، لن

أشير إليه كثيرا؛ فلقد أفردت له مقدمة خاصة به نتعرف فيها عليه، ونطالع شخصيته عن كثب .

سرتُ في هذه المجموعة في خطين متوازيين؛ الأول أوجاع الناس وما يتألمون به في دنيا ملأتها المادية وحشة وغربة وجرائم، والثاني كان القاضي على شاطيء النجاة ينتظرنا ليكون هو بصيص الأمل الذي يرسله الله إلينا لنعلم أن مازال في الدنيا خير، وأن قاضيا يمثل الملاذ الأخير بعد الله سبحانه، والحصن الذي تبقى للناس سبّبه الله إليهم ليحتموا به، ويشعل فيهم فتيل الأمل من جديد .

كلي أمل أيضا أن تنال بعض الإعجاب من حضراتكم، وأن تصل رسالتي وإن تخفّت بين ثنايا السطور، وتوارت بين قضبان الكلمات .

المؤلف ..

إبراهيم عمر مهران

أسيوط - بني رافع ،

السبت الثالث من صفر ١٤٤٠

والثالث عشر من أكتوبر ٢٠١٨

عمر (بك) هاشم

عمر السيد محمود هاشم، أو عمر (بك) هاشم كما لا يحب أن يناديه أحد، ولكنهم ينادونه به رغما عنه! يحتار الشباب في مُحيّاه؛ فلا يدري أيفارقه، أم يبقى معه برهة وجيزة، تجاوز عمره الخمسين، قامة لا بأس بطولها، إلا أنه مع طول مجالسته لكرسي القضاء، وعكوفه على قراءة قضاياه بتمعنّ انحنى أعلى ظهره شيئا بسيطا، ويحاول مرة بعد مرة أن ينتصب وينصبه، لكنه سرعان ما يعانده ظهره ويأباه على ما يريده .

تفكّر تجاعيد الكِبر أن تغازله مغازلة الوقار، فأسفل عينيه خطوط وكأنها مجرى مياه لجدول نهر صغير، يبرز شعاع من نور يخرج من عينيه البنيتين، فتنظر إليهما فتحس براحة غريبة، لكل من خالط قلبه البياض والطهر، ويشعر بريبة من ينظر إليهما وفي صدره شيء من كذب،

قد حل بياض على شعر رأسه، وكأنه نور من أهل الفجر راح يزيح سواد الليل، فزاده مهابة وجلالا .

يخاف كثيرا أن ينسى القرءان الذي لقنّه له والده له وهو صبي لم يتخطّ الخامسة عشرة من عمره، فهو يعكف على وِردٍ يومي بعد صلاة الفجر يراجع فيه جزءا، تتردد في أذنه دوما محادثته مع والده حينما سأله وهو صبي:

- **ما تحب أن تكون يا عمر مستقبلا ؟**
- **طبيبا يا والدي أو قاضيا .**
- **بل قاضيا يا ولدي بقلب طبيب، يتحسس أوجاع الناس، ويزيل الظلم، ليكون خليفة لله بين عباده، ينتصف للمظلوم، ويردع الظالم.**

تردد هذا المعنى في جنبات نفسه كثيرا:(بل قاضيا يا ولدي بقلب طبيب، يتحسس أوجاع الناس، ويزيل الظلم، ليكون خليفة لله بين عباده، ينتصف للمظلوم، ويردع

الظالم) وكأن باب السماء وباب قلبه قد تعاهدا أن يفتحا في نفس اللحظة، فاستجاب الله أمنية الوالد، ووعى الصبي بقلبه قبل عقله ما أراده له والده، وصارت جملة والده له لا تفارقه أينما حلّ .

يحاول كثيرا أن يستبين الحق، وأن يتفرس وجوه الناس، وأن يسير مع كل خيط يوصله للعدالة، لا ينجرف مع تيار العاطفة إن بكى أحد أمامه؛ حتى لا ينخدع؛ فينطلي عليه مكر أحد فيحكم له، ويجور على المجني عليه، وإن شئت أدرجته تحت حديث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (اتقّ فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله)! أوراق القضايا تملأ مكتبته الخاصة، وعلى كل قضية أتمها ورقة مدون بها موعدها والحكم فيها، وشعوره بعد هذا الحكم .

علاقته بزملائه القضاة ومن هم في هذا المضمار أكثر من رائعة، على الرغم من انتقادهم له دوما، إما إشفاقا عليه

من الإجهاد الذي يصير سجينا له، وإما غيرة ممن يحسدونه على مكانته وورعه وفطنته!

يخاف المحامين كثيرا كثيرا، ويحترمهم أكثر، بل قل طائفة ليست قليلة منهم، يرى أنهم دعاة خير على منابر من نور إذ يقفون مع المظلوم حتى يثوب إليه حقه، فينام مستريح البال، ويخشى عليهم وعلى آخرتهم من ألاعيب يجيدها كثير منهم ليجعل من الحق باطلا !

المستشار عمر (بك) هاشم، كل جلسة له قضية، يستمع فيها إلى أقوال من هم بالقضايا، وينظر باهتمام إلى محاورات الدفاع مع الشهود وأسئلتهم لهم، ويغيب لينظر في أوراق القضايا، في كل قضية وجع وألم وأنين، منها المكبوت ومنها الصارخ رغما عن كل ظروف، يحاول أن يكون طبيبا قبل أن يكون قاضيا كما قال له والده ووصّاه.

حضانتي لأمي يا سيادة القاضي..

أصوات يصاحبها بعض الضجيج أحيانا في جنبات القاعة، أناس واقفون يتفقدون ذويهم من بين أسلاك القفص التي حجبت الرؤية ولم تحجب القلوب، بل زادتها توهجا واشتياقا، بعض المحامين يظهر من تمتمتهم لموكليهم بأن اطمئنوا ولا تقلقوا، وبعض من وراء القفص يلوحون لمن هم خارج القفص، وبعض الذين هم جالسون على المقاعد تدور أعينهم في جنبات القاعة تأمّلا أو اندهاشا أو ترقبا، منصّة القضاء فارغة، وكذلك منصة النيابة لم يأتِ أحد حتى الآن .

باب خلف المقاعد مغلق إلا شيئا بسيطا منها يسترق إليه ضجيج القاعة إلى من هم خارج القاعة، بعض أفراد الشرطة يؤمنون المكان حيث يستطيعون، وبعض الناس يحيونهم ببعض السجائر توطئة لأن يتساهلوا معهم مع

ذويهم المحبوسين فيطيلون جِلسة معهم أو مكالمة هاتفية يطمئنون بها من لم يستطع مجيئا، يقف على الباب رجل ترهّل بطنه وعظُم صوته وكأنه مولود أمام هذا الباب، فجأة بصوت أجش فيه بعض الصراخ:(محكمة)!

صمت يعم المكان ويسيطر عليه، ليخرج قاضينا ومعه مستشاراه، وممثل النيابة العامة، يتخذ كل منهم مكانه ولا يجلسون حتى يجلس، يجلس قاضينا ويشير للجميع أن تفضلوا، وشفتاه تتمتم كالعادة، والناس تعلّقت عيونها بالقاضي وهو يدخل في وقار وإجلال، وكل منهم يُحلّق خياله حسبما يشاء، منهم من يقول في نفسه: قيّض الله من سيعطيني حقي بتوسمهم فيه الخير من مُحيّاه، ومنهم من انطفأ نور سعادته لحسن مُحيّا القاضي نفسه لتوسمه فيه الخير .

يبدأ قاضينا بصوت لا هو عالٍ ولا هو منخفض، يسمعه أول الصفوف: (بسم الله)، موجها صوته للحاجب خلفه:

- نادِ على أول قضية عندك .

صوت عظيم:

- محمد محمد عبيد الورداني، ضد عادل محمد عبيد الورداني، قضية رقم ٣٥٦ جنح لسنة ١٩٩٨.

الناس تتعلق أنظارها بالأمام ليتابعوا كلام الحاج، ثم يلتفتون للوراء ليروا من صاحب القضية الذي يقاضي أخاه، ولسان حال الكثيرين إلى هذا الحد وصل الأمر بنا أن يقاضي الأخ أخاه !!

وفجأة يخرج من بين المقاعد كهلٌ طاعن في السن، قد تجاوز السبعين أو وصلها توّا، يتهادى بين المقاعد وبين الناس عساه أن يجد متكأ يساعده حتى الوصول إلى المنصة دون أن يهزمه الكِبَر فيقع، ثم يخرج خلفه من هو يصغره بعقد أو بعقد ونصف، مستقيم ظهره ويحتفظ بقوته، ويسابق الخطى حتى يلحق بأخيه ليجعل من ساعده وكتفه متكأ لأخيه، ويخاف أن تخونه رجلاه فتسبق خُطى

أخيه فيفقد احترامه له!

يتعجب الناس من هذا المشهد الدراماتيكي، ويشاطرهم في هذه الدهشة القاضي، يودّ أن يأتي هو إليهم ليجيبا له عن أسئلة جمّة ويفسرا له ألغازا عنهما، يتكأ الأخ الأكبر على أخيه، ويسترق إليه نظرات ثم تهوي منه في الأرض لكبره ومتابعة خطواته الضعيفة .

يصل الاثنان إلى المنصة فيبادره قاضينا بعد أن يتخذا أماكنهما ويقف العجوز بين يدي القاضي، فيقول لهما:

- **من منكما محمد محمد عبيد الورداني ؟**
- **العجوز: أنا يا افندم أهوه .**
- **أنت قمت بتقديم دعوى ضد أخيك يا محمد، فما هي دعواك؟ هل ظلمك في شيء؟ أو جار عليك في أرض؟ أم حرمك ميراثا بينكما؟ أم أن أبنائه هم الذين ظلموك ؟**

القاضي بين يديه الدعوى ينظر إليها، ويعرف لماذا

قام هذا الأخ برفعها، ولكنه لا يكاد يصدق من ناحية، ومن أخرى يريد أن يشاركه الناس في نادرة من نوادر زماننا!

- **العجوز: لا يا افندم لم يحرمني ميراثا، بل حرمني ما هو أعز وأكرم، ولم يظلمني في شيء من حطام الدنيا، بل حرم قلبي من نوره وبغيته .**

الأخ الأصغر ينظر إلى أخيه بعيني الوقار والرحمة، ويتابع نظره في الأرض حينا، وحينا أخرى إلى القاضي، والقاضي لا يريد أن يقاطع هذا العجوز العجيب الذي جاء محمّلا بعبارات تفوح منها رائحة (الفوازير) .

- **فما الذي يريد أن يحرمك منه إذن يا رجل طالما أنه لم يحرمك من شيء مما قلت؟ أهناك ما هو أفضل من هذا؟**
- **نعم هناك ما هو أفضل وأثمن وأعز عندي من كل ما في الدنيا، إنه يريد أن يحرمني حضانتي لأمي يا سيادة القاضي !!**

تمتمات تهز المحكمة مع همسها وعلوها في آنٍ واحد، والعجب هو بطل المكان وقائده بين الجميع، والقاضي مبتسم ابتسامة غير ملحوظة إلا في عينيه، وكأنه يقول للناس: أرأيتم بأم عيونكم؟ أسمعت قلوبكم قبل آذانكم !!

- يتابع العجوز: أمي يا سيادة القاضي، منذ نعومة أظافري لم تفارقني ولم أفارقها، لا عطف إلا بين حجرها، مهما تثاقلت بالهموم يكفيني أن ألقي برأسي على فخذها لتمسح بيدها على جبيني وكأن شيئا لم يكن، كم من ضيقة وكرب وقعت فيهما إلا وتجسّد لي برّي بها فأفرج الله عني ما أنا فيه، كم تعبت من زوجتي وكانت تصبّرني وتجمّلها في عيني بخلُقها ونبت أصلها الطيب!، أمي يا سيادة القاضي نِعم الصديق والرفيق، كيف أستطيع أن أعيش بدونها لحظة واحدة؟! كيف أستطيع أن أنام ليلة دون أن أطمئن عليها وأعطيها دواءها بيدي، لتدعو

لي دعائها الجميل: (ربنا ما يسكّن في جسمك وجع يا محمد يا ابني)؟!

صوته يتهدّج مع أنفاسه، وشجنه يعلو كلامه، ليستعبر باكيا، وتتدحرج من كل عين دمعة حبيسة، لترتفع يداه مرتعشة تمسح هاتين الدمعتين حتى لا يستسلم للبكاء فينقطع مِداد الكلام عنه، القاضي يرقب منه كل حركة وكلمة تخرج منه، ثم يتابع العجوز:

أمي يا سيادة القاضي التي لا يهنأ لي عيش ولا يطيب لي طعام إلا أن تشاركني وأشاركها، وتقول لي دوما: (يااااااه يا محمد على نعمة ربنا، الحمد لله يا ولدي ربنا يوسّع رزقك يا ابني ويهنّيك) .

ثم لا يتمالك نفسه مع صوت أنفاسه التي علت كلامه، ويسكن صوته ليكون صدره هو المتحدّث بأنفاسه المتقطعة، عندئذ يرحم القاضي كِبره وضعفه، ليحوّل النظر إلى أخيه الأصغر منه ليستمع إلى رده فيما قاله أخوه، ويقول له:

- وأنت يا عادل ما ردك على كلام أخيك، وماذا تريد منه؟
- يا افندم والله قلبي يتفطّر على ما أخي فيه، ولكنني أقاسي هذا الشعور كثيرا وكل يوم، بل كل لحظة، يا افندم وسّع الله رزقي، وأعطاني فوق ما أريد فاتخذت بيتا بعد شارعين من بيتنا الكبير، بعد أن احتمى أخي محمد بالبيت الكبير بيت العائلة ليستقر فيه وعياله، وليفوز بأمه التي رفضت أن تفارق جدار وحيطان هذا البيت القديم الذي يحمل روائح الماضي وذكريات أبينا .

تركت أمي له لتعلقه بها، وأنا أشد منه تعلقا، بل كلانا، ولا ندري من يسابق من في التعلّق بأمي، وإنصافا هو يسابقني في التعلق بها سنا فقط! أحاول كل يوم أن أمرّ عليها لأقبّل يدها، وأنا أحمل بين يدي بعض الفواكه وحلوى (الملبن) التي تحبّها لأن أبي كان يطعمها منها،

فهي تشتهيها طعما واشتياقا لهذا الرجل الطيب الذي خلّف لها ذرية كهذه ـ وعينه لأخيه ـ، ثم تقول أمي لي: (على إيه يا ابني تاعب نفسك يا حبيبي، أخوك ربنا يبارك فيه مش معوزني حاجة)!

طال الوقوف بعجوزنا وبدأ ينحني وقدماه لم تكد تتحملان وقوفه، واستشعر هذا القاضي، فقال له بصوت رفيق: (اجلس يا حاج محمد واسترح قليلاً) ينظر إليه العجوز بعين الشكر والاستعطاف قبلهما ويشكره قائلا: (متشكر يا افندم)، ويتوجه أخوه الأصغر ليجلسه ويفسح له الجالسون مكانا له ثم ينظر القاضي إلى أخيه الأصغر بأن استمر .

فيا افندم ألا يكفي أخي ما ادخره له الزمن وامتدّ به ليكون مع أمه كل هذا العمر؟ يا افندم أمي ـ أطال الله في عمرها ومتعها بالعافية والصحة ـ لن تعيش أكثر مما عاشت، فهلا سمحتم لي وقبل سيادتكم أخي أن أفوز ببعض

هذا العمر، لأكون عبدا لها مطيعا وخادما رقيقا، فلطالما حُرِمتُ رفقتها إيثارا مني لأخي؟ سيادة القاضي اسمح لي بأن أضم أمي إلى حضانتي ولها ما تشتهي، ولأخي ما يريد، وأنا طوع بنانه فيما يقوله، إن شاء أوسع بيتي ليسعني وعيالي ويسعه وعياله لكن تكون أمي معي أنا !

دهشة شديدة من مشهد كهذا وكأنه ضرب من ضروب الخيال، استرق سمعَ الناس وقلوبهم، وغادر بهم من دنيا المادة إلى عصر ملائكي، تعلو فيه القيم وتسمو به الروح، وكأنك في مجلس من مجالس الصحابة والتابعين، يتسابق كل منهم إلى الجنة والفوز برضا الخالق، القاضي مُحدّق نظره، وعليه ابتسامة الرضا مما يسمع، وكأنه يطمئن نفسه (لا زال في النيا بعض خير) مما يُعرض عليه من شكاوى الناس واقتتالهم على زائل مما يزول من الدنيا.

يقلب نظره بين الأخين، ثم يلقي بنظره إلى الناس

وكأنه يقول لهم: (انظروا فيما جئتم وما تقولون فيما تسمعون؟) يبكي قلب القاضي لتذكره أمه وأباه وبره بهما، وحنانه عليهما، ويتمنّى وجودهما أو وجود أحدهما، ليبالغ في بره معهما، يفيق القاضي من غياهب الماضي، ليقول بصوت رقيق:

- أمكما جاءت معكما؟
- الاثنان: نعم يا افندم حاضرة آخر القاعة .
- إذن نحتكم إليها هي، ونرى من تريد منكما؟ وعلينا أن نرضى بحكمها .

إذعان من الجميع، وإشفاق وشوق أن ترضى كل منهما عنه.

- القاضي موجها كلامه للحاجب: نادِ على الأم .
- الحاجب: عديلة عبد ربه مسعود .

تتسابق أنظار الناس في أن يروا هذه الأم التي أخرجت هذين الملكين، ويخرج من بين الصفين كرسي متحرك بعجلتين عن جانبيه منحها القدر إياه بدلا عن

قدميها التي خانتاها فلم تعد تتحمّلان، فيسارع كل من الأخين ليرافقا الأم، والعجوز كأنه شاب في ريعان الشباب قد نشط من عِقال، وأخوه يرحمه في جريه معه حتى لا يؤذي خطوته، والناس في عجب شديد ولا شيء غير العجب .

يصل الأخان إلى أمهما وكل منهما يهوي إلى قدمها ليقبلاها وهي تمسح بكلتا يديها على رأسيهما، ويداها لم يكد يظهر منها إلا جلد قد كسى عظاما بالية، تخللتها الأوردة التي أمضّها وأتعبها الزمن والكِبَر، ثم يستديران ليجعل كل منهما يدفع كرسي الأم بدلا ممن يدفعها، والناس لا زال العجب يرافقها، ولا يريد أن يبرح المكان، حتى يصلا بالأم بين يدي القاضي ويقف الأخان بجوار الأم في انكسار وحب يسيطران عليهما .

أنفاس الأم تهز جنبات المكان، والأعجب من ذلك كأنها تخرج من صدر كل من الأخين، القاضي ينظر بعين

الإشفاق والرحمة والفخر لهذه الأم العظيمة التي قلّما ظهر في زماننا طيف منها، ثم يتابع نظره بين الأخين وتلهفهما على أمهما، هل لا زال في زماننا من يجد أن رضا أمه غاية بدلا من التسارع على الدنيا واسترضاء زوجةٍ كلُ همها أن تفارق أم زوجها وأن تكون هي سيدة (القصر) بلا منازع؟ هل لا زال بيننا من يقاضي أخاه لأنه يريد أن يخلُصَ بأمه؟! أسئلة وكلمات كثيرة، لكننا نعود إلى قاضينا الذي يبادر الأم بعد أن اتخذت مكانها بين ولديها .

- **كيف حالك يا حاجة ؟**
- **الحمد لله يا ابني، بخير(طول ما أنتم كويسين) .**
- **سؤالي الأول والأهم يا حاجة: ماذا فعلتِ ليخرج ابناكِ هكذا؟**
- **الحلال يا ابني، والدهما لم يطعمهما إلا الحلال، وجعلهما يرافقانه في كل صلاة، وربّاهما على كل شيء نبيل، لم يكن بيننا إلا كل حب وخير، والرضا كان الخامس**

في الأسرة .

- ربنا يبارك فيكِ يا حاجة، ليت هناك مدرسة تعلّم أمهات هذا الزمان مثل هذا، تكونين أنتِ المعلمة الأولى والأخيرة فيها، حتى يخرج لهذا المجتمع أمهات يربون أبنائهم كما ربّيتِ ابنيكِ!! ها يا حاجة: سمعت ما قالاه ابناكِ، وأنا أحتكم إليكِ: مع من تفضّلين أن تختمي حياتكِ بارك الله لكِ فيها ومتعك بها؟
- بحيرة تريد القاضي أن يشاطرها إياها: تخيّرني يا سيادة القاضي بين كلتا عينيّ؟! بين اليمنى واليسرى؟ بين أن أتنفس أو أن أشرب؟! أختار موتا أهون عليّ يا سيادة القاضي ولا أفرّق بين الاثنين، فهم حبّة الفؤاد وقرة العين.

دموع تنهمر من كلا الأخين من كلمات أمهما، ومن ذكر الأم لكلمة الموت أو بعض حروفها حتى! والقاضي في دهشة عجيبة، ولو حكى له أحد زملائه القضاة مثل

هذا لوصفه بالمبالغة وأنه قصّاص يجيد نسج الخيال، ولكنه يعايش الموقف بنفسه، والصمت يعم المكان، والقاضي ينظر بتأمل، إلا أنه أطرق يفكر في شيء، ويخاف أن يقسو على أحدهما، لكن القاضي لابد ألا يسمح لعاطفته أن تُسيّر أحكامه فيجور على صاحب حق، فيوجه كلامه إلى محمد الابن الأكبر:

- يا حاج محمد، بلغت من العمر ما بلغت، وتقدمت بك السن، وخانك الكِبر، وأمك بحاجة إلى من يعولها، فضلا عن أنك أيضا في حاجة إلى من يعولك، وقد آثرك أخوك على نفسه طيلة هذه العقود من السنين، فهلا سمحت لنا بأن يضم أمه إليه، ليفوز برضاها وبرها ما تبقى من العمر؟

كلمات القاضي رصاصات متتابعة في صدر العجوز، وسيوف تمزق قلبه إربا إربا، ويتمنى أن يكون هذا حلما

أو كابوسا يفيق منه على رؤية أمه بجانبه، ولا يتمالك دموعه المنهمرة، فيقاطع القاضي قائلا:

- أمي يا سيادة القاضي، لا عيش لي بعدها، عيالي في خدمتها وخدمتي، أمي يا افندم أرجوك بالله احكم عليّ بالإعدام فورا ولا تجعلني أسمع أنني سأفارق أمي.

الأم تقبض بيدها على ولدها، وكأنه طفل تخاف عليه الحزن الذي تملّك قلبه، والحسرة التي ستشطره نصفين .

- القاضي: هوّن عليك يا حبيبنا، ألم أقل لك إن أخاك قد آثرك على نفسه، فلتؤثره أنت على نفسك، وأمكما بينكما تذهب إليها كل يوم .

العجوز ينظر إليه بعينين يائستين، وأدرك أنه لم يكن مجرد عرض من القاضي بل هو حكم، ولكن أعطاه له بشيء من الرفق عليه، ودموعه تسابق يأسه وحزنه .

القاضي متابعا:

- حكمت المحكمة بضم حضانة الأم إلى ابنها الأصغر عادل محمد عبيد الورداني نظرا لكبر الابن الأكبر وأنه بحاجة إلى من يعوله .

كلمات نطق بها القاضي، والناس تعلقت عيونهم بالأم وابنيها، وهما يستديران بأمهما، ولكن عادل الأصغر قد انكب على أخيه باكيا، ويمسح عنه دموعه، ويستسمحه بيديه التي تهدهده وتمسح ما ينهمر من دموعه، والأم تواسيهما بدموعها الحانية عليهما، والناس ترافقهم وتعجب أشد العجب، ولا تكاد تصدّق ما تراه بعيونها لولا أنهم يعايشون بأنفسهم هذا المشهد الشديد غرابة وتأثيرا، وكأنه ضرب من الخيال، لا واقع يحيونه، وما أفاق الناس إلا صوت قاضينا وهو يقول للحاجب:

- ها، ما بعد ذلك؟ أهناك أشد عجبا مما رأينا؟ نادِ على القضية التالية .

قلّة مُسضْعَفة !!

يجوب الضجيج قاعة المحكمة، وكل مشغول بحاله، والمحامون بعضهم يخرج من حقيبته الخاصة بعض (الساندوتشات) التي التقطوها سلفا قبل الدخول لقاعة المحكمة؛ لانشغالهم وعدم اكتراثهم كثيرا بأكلهم، ومنهم من اكتفى ببعض البسكوت محافظة منهم على (برستيجه) أمام عامة الناس، وهناك من ينظر إلى المحامين بشذر وضيق، ويعدّون عليهم أنفاسهم ظنا منهم أنهم يسلبونهم أموالهم، وإن كانت في الحقيقة نظير تعب وباتفاق مسبق بينهم، ولكن هذه طبائع البشر!!

يخرج القاضي من استراحته التي لم تمكث غير ساعة، ليطالع أوجاع الناس واختصامهم مع بعضهم، ليعلن الحاجب صيحته التي اعتادها:

محكـــــــمة !!!

يتابع الحاجب ندائه لينادي على قضية أخرى:

- **قضية رقم ٨٧٥٦ جنح القاهرة، جرجس عبد المسيح رءوف ضد عبد الباري محمود حمدان وآخرين .**

يخرج من بين الناس رجل من دهماء الناس وعوامهم، قد بدأ الكِبر يتفقّد ملامحه، ملابسه لا يبين منها أنه قاهري أو من أهل الجيزة حتى وإن كان يقطنها؛ فهو من أهل الصعيد الذين استوطنوا القاهرة أو الجيزة، ولا فرق بين المدينتين، عليه (جلابية) فضفاضة، و(كوفية) قد جعلها على عاتقيه وأدار طرفا منها مرة أخرى إلى ظهره من على كتفه الأيسر، ومعه محاميه الذي ينظر إلى الناس من تحت نظارته، فلا تدري أهي نظارة نظر أم للقراءة، أم أنها لواحدة منهما وتقوم بشأن الأخرى؟! يتبعه رجل منتفخ الصدر، عظيم الجثة، له شارب قد بالغ في الاهتمام به، بجواره آخرون وإن كان لهم نفس الهيئة،

لا يشك الرائي أنهم خرجوا من رحم واحدة! يبادرهم القاضي حتى يُوقفوا بين يديه على (المنصة):

- **ها، ما عندكم؟**

يبتدر المحامي القاضي، بعد أن يستجمع أوراقه في حقيبته التي اصطحبها معه، ونظارته أوشك أن تسد فتحتيّ أنفه، وينظر دونها إلى القاضي، قائلا:

- **هاني نبيل مسعود يا معالي الريس حاضر عن موكلي جرجس عبد المسيح رءوف في القضية التي بين أيديكم .**
- **اتفضل يا أستاذ .**
- **يا معالي الريس موكلي واحد من أبسط ما يكون، يعيش في سلام مع نفسه أولا، ويحب الناس كل الناس، منذ وطأت قدماه مصر، جاء باحثا من الصعيد عن لقمة عيش كريمة، بعد أن ضاق رزقه وإعمالا بالآية الكريمة (فامشوا في مناكبها) و(ألم تكن**

أرض الله واسعة فتهاجروا فيها)! لقمة عيش يا معالي الرئيس تضمن له حياة كريمة مع أسرته التي رافقته في هذه الرحلة الشاقة، تاركين مسقط رأسهم ومشهد لعبهم وفرحهم وترحهم...

يقاطعه القاضي لمقدمته التي أسهب فيها دون أن يدخل في تفاصيل القضية:

- اتفضل ادخل في الموضوع يا أستاذ مباشرة .
- ما أقوله يا سيادة القاضي هو من صلب الموضوع وأساسه، فهل نستطيع أن نبني بيتا دون أن نرسخ أساسه؟! المهم يا افندم توفيرا لوقت سيادتكم الثمين، ونعلم أنكم كرستم كل جهدكم لسماع شكاوى الناس والفصل فيما يختصمون فيه ـ ملل من القاضي بعض الشيء ـ موكلي هذا المسكين المغلوب على أمره المسالم ـ الموكل جرجس يبالغ في إظهار وتمثّيل ما يقوله محاميه ـ بعد أن استقر ورُزِق رزقا يسد

رمقه وعياله كان قد استأجر بيتا بسيطا يقطن فيه، وبعد فترة من الزمن اشتراه من صاحب البيت وهو خصمنا السيد المحترم عبد الباري محمود حمدان وإخوته، وبعد فترة يا أفندم راجع البائع نفسه أو غلبه إخوته .

يقاطعه الخصم بضيق:

- يا أستاذ دعك مما لا تعرفه، لم تكن معنا، ولم يغلبني إخوتي .

القاضي:

- لا يتكلم أحد بدون إذن، ولا تتهجم على الغيب يا أستاذ امضِ في صلب القضية فقط .

المحامي:

- أوامرك يا معالي الرئيس، جاء الخصم إلى موكلي يطلب منه برضاه أو رغما عنه أن يرجع في البيع، وأن يرد له ماله ويأخذ بيته، بيته يا سيادة القاضي

الذي وفّر له من قوت عياله ما يسدد ثمنه، جاعت العيال، وانكشفوا للناس واليوم يريد أن يرد البيع!!

تغيّر في حنجرة المحامي بما يشبه الحشرجة مع الصوت الذي يستجدي عطفا ـ اتخذ من قوة بسطته على المنطقة سبيلا في أن يضغط على موكلي يا سيادة القاضي، وموكلي واحد من القلّة المُستضعفَة في هذه البلد!!...

مقاطعة سريعة من القاضي بضيق شديد للمحامي:

- **قلّة!! أي قلة أيها الأستاذ؟ لا تغيّر مجريات الأمور، ولا تستخدم مصطلحات وتوصيفات ليس لها مكان بين أبناء هذا النسيج الواحد، دعك من هذه التعبيرات التي يستخدمها جُهّال الناس وخبثاؤهم لينفُذوا إلى مآرب دنيئة، هنا بين أروقة القضاء لا فرق بين مسلم ومسيحي، بل لا يُذكر من الأساس دينه أو أيدولوجيته، كائنا من كان ..**

- بتضرع وامتثال وشعور بالخزي: أنا لم أقصد ضيقكم يا سيادة القاضي ولكن ..

يقاطعه القاضي مرة أخرى:

- دعك من ضيقي، هل عندك كلام آخر؟
- الكلام كثير يا سيادة القاضي، ولكن أظنني أوجزته (شعر المحامي أن قوس الصبر لدى القاضي ما عاد به منزع فآثر السلامة والصمت) .
- هل لديك عقد موثّق ؟
- نعم يا أفندم وفي حافظة القضية صورة ضوئية منه.
- أريد الأصل لأضارعه بالصورة لدينا .

يتقدم المحامي ليعطي الأصل للقاضي بأيد يمثّل ارتعاشها، فيأخذها القاضي برفق، ويتفرسها ثم يعطيها إياه، ثم يوجه كلامه للخصم:

- وأنت يا عبد الباري، ألم تقم بالبيع؟ أليست هذه توقيعاتكم على العقد وقد نُقِدتَ الثمن؟ أأرغمك أحد؟ ألم تكن في وعيك؟

مجموعة من الأسئلة يطلقها القاضي للخصم وكأنها رصاصات سريعة .

- نعم يا أفندم بعت، ولكن أحببت أن أرجع في البيع (عادي يعني) .
- أحببت؟ (عادي يعني)!! هذا هراء، دعك من العقد الذي أبرمته معه ووقعت عليه ووضعتَ بصمة إصبعك الغليظ هذا أدناه، ألم تعطه كلمة؟ ألا تعلم أن الرجل كلمة، وشرفه الكلمة؟!

كلمات يقذف بها القاضي مسامع الخصم دون أدنى تأثير من مرافعة المحامي، بل من قاضٍ يحس بقلبه ويتتبع ضميره ويتفقد الحقيقة في وجوه من يختصمون إليه، ضاق ذرعا أن يستعلي أحد على أحد، انتهزها فرصة أن

يعلم الجميع درسا، ناهيك عن أن يفصل بينهم، وكأنه قد سافر عبر رحلة في غياهب الماضي فرأى الفاروق عمر بن الخطاب وهو يحكم للقبطي الذي جار عليه ابن عمرو بن العاص، وصوت عمر يدوّي:(متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟!).

لا يسع الخصم أمام القاضي إلا أن يطأطأ الرأس أمام القاضي ويوميء بها أنه مقر بكل ما يقوله، وكأن الخصم قد استفاق وتسربل بالخزي جرّاء ما قد كان منه، أما جرجس فهو في أشد العجب مما يسمع من هذا القاضي ومن كلماته التي لا زال يوجهها إلى خصمه:

- **أيها الخصم لا تجعل الدنيا تغلبك على نفسك وتتفق مع هواك ونفسك والشيطان وتصبح صريعهم جميعا، وتتحول مطامعك إلى قيد خانق يضيّق عليك حياتك في الدنيا، وينتظرك في الآخرة أمام ربك، اتق الله،**

وسِرْ في كلمتك التي أعطيتها لجارك، وسل الله أن بارك له في بيته، وكن له خير رفيق .

- أوامرك يا أفندم، سامحنا يا افندم .
- حكمت المحكمة بقبول الدعوى المقدمة من جرجس عبد المسيح رءوف بأحقيته بالبيت المباع من عبد الباري محمود حمدان وسريان العقد واطمئنان المحكمة إليه .

سعادة بالغة من العم جرجس وانتشاء من المحامي لديه، ويميل عليه برأسه ولسان حاله يقول له: (دا كله بفضل مرافعتي العظيمة) بل قالها له دون إيحاء، والخصم وإخوته مضوا إلى سبيلهم وكلمات القاضي طوق النجاة لهم من أمواج الطمع المتلاطمة.

الشرف الضائع..

صخبٌ في قاعة المحكمة – وفي كل قاعة – إذ امتثل القاضي ومستشاراه وممثل النيابة لشيء من الراحة، ولا يبحر الوقت غير ساعة ليستأنفوا عملهم، ويعودوا أدراجهم إلى قاعة المحكمة، ليدخل الهدوء بعدهم ليخيّم على المكان، وبالفعل تعجّلوا في راحتهم، وتقدّمهم القاضي بوقار واحترام منه للجميع كما عهدوه، ثم يقف الحاجب كأنه جبل أشم، يحاول أن يشد من نفسه وينصب في قامته التي لم تعد طوع بنانه، ليقول:

- محـكـــــــمة .

الضجيج ينسحب في تدرّج ليحل الصمت والهدوء مكانه، يظل حارسا شجاعا قويا يقف على رأس الحاضرين، والمحامون يرتبون أوراقهم ريثما يستعدون لقضاياهم التي وكّلها بها موكلوها، وكثيرٌ من الحضور على مقاعد

القاعة تعلّقت عيونهم بمن وراء القضبان ويرسلون إليهم نظرات أمل واطمئنان، وإن لم يكن لا مجال لاطمئنان، ولكن تعلق بأي شيء ولو وهما!!

يجلس القاضي، يجلس مستشاراه، وممثل النيابة الذي أعدّ أوراقه وكأنه يستعد لمرافعة ما، فيأذن القاضي للحاجب بأن هاتِ ما عندك، ليزأر الحاجب ويقول:

- **قضية رقم ٥٦٩٥ لعام ٢٠١٦ جنايات الجيزة، المتهم فيها عماد علي إسماعيل مهني ضد المجني عليها ياسمين علي إسماعيل مهني .**

المتهم من بين القضبان:

- **أفندم، ها أنا .**

القاضي مشيرا إلى النيابة:

- **معالي وكيل النائب العام يتفضل بإدعائه .**

ويعتدل من جِلسته ممثل النيابة، ليقف ووشاح قد ظهر

به، زاده روعة على حسن مظهره، واهتمامه الواضح بأناقتة وشعر مسرود مُرجّل، وسن تتأرجح بين الثلاثين وبضع فوقها، وبِزّة تمام الروعة بها، قد لاءمها مع رابطة عنقه، وساعة يد تظهر مع تلويحات يده، ويقف أمام الجميع ليقول:

- السادة أعضاء الهيئة الموقرّة إن القضية الماثلة أمام عدالتكم قضية يشيب لها الولدان، خرجت علينا ظروف الحياة ليتكرر مشهدها في هذا الزمن مرات ومرات، فإن هذا الشاب الماثل أمامكم جميعا الآن ويخفي وراء هذه النظرات المستعطفة عيني وحش كاسر تجرّد من كل معاني الإنسانية، لينقض على أخته البريئة ذات الخمس وعشرين عاما.. راحت منه كل معاني الإنسانية، بل إن الحيوان لا يجرؤ مع حيوانيته أن يفعل مثل ما أتى! ماذا جنت أخته المسكينة لينقض عليها بست عشرة طعنة ؟! وكأنه

مع كل طعنة يشتهي لون دمائها فيهوي عليها بطعنة أشد مما سبقت، إن مثل هذا الوحش الماثل أمام عدالتكم أرجو ألا تأخذكم به شفقة هيئتكم الموقرة، ومثلكم سيادة القاضي لا ينطلي عليه دموع التماسيح، أطالب بتطبيق أشد العقوبة من قانون الجنايات، حتى يكون عِبرة لغيره، ولتنتهي مثل هذه الآفات التي ظهرت في مجتمعنا، ولا ندعها تستشري بتطبيق صحيح القانون وحكمكم الرادع عليه .

ضجة واسعة من قاعة المحكمة عقب مرافعة ممثل النيابة العامة، وكلماته النارية التي صارت قذائف في صدر المتهم، الذي يلوك بيعنيه الجالسين وينظر إليهم وكأنه يبحث عمن لا يصدق الكلام، أو يلتمس فيهم من يحنو عليه، وقد بدا على هذا المتهم كل معاني ضيق ذات اليد وفراغها من أمتعة الدنيا وزينتها، حتى في مثل هذا الموقف لم يستطع أن يوكّل محاميا، وكانت المحكمة على

علم بذلك، فانتدبت له محاميا من النقابة، والذي أشار إليه القاضي أن يتفضل للدفاع عنه .

- سيادة القاضي، حضرات المستشارين، إن المتهم الماثل أمام عدالتكم الآن لا ننكر بالضرورة أنه قتل أخته، كما أقرّ هو بنفسه في تحقيقات النيابة، ولكن ما الدافع لقتلها؟ أي سبب توارى خلفه القتل؟ لا بد سيادة القاضي قبل أن نحكم أن نعرف الملابسات وما الذي دفعه لذلك؟

إن موكلي قد أقدم على قتل أخته دفاعا عن شرفه، وانتصارا لكرامته التي وضعتها أخته في الوحل، بعد أن صار رقم هاتفها مع سكّان منطقته، وكل جلسة غير بريئة في خلسة من الليل تكون هي نجمتها، لم يستطع موكلي أن يحتبس دم المروءة والنخوة داخله، فقام بسكين يطهرها من دنسها، لا أن يقتلها بأي دافع آخر، إن قتله لها كان تطهيرا لها وانتصارا لشرفه وعرضه .

ممثل النيابة مقاطعا بحدّة:

- **سيادة القاضي إن ما يقوله دفاع المتهم هو تبرير سافر للقتل، وكأن السيد المحترم لم يطلع على كتب للقوانين، وكأننا في غابة كلٌ يأخذ حقا يتصوره كيفما يروق له .**

القاضي يتابع ولا يريد أن يزجر أحدا، ليرد المحامي على ممثل النيابة:

- **ناهيك أنني قرأت أو درست القانون وأمارسه وأتكلم به، فهذه سقطة من النيابة أتغاضى عنها، ولكن يبدو أن السيد المبجل ممثل النيابة بمعزل عن مجتمع مقيت كل همه أن يتتبع عورات الناس، ولا يرحم مسكينا أحوجته ظروفه لأن يفعل ما لا يرضاه أحد، أو ينتهك حرمات الناس ويحكم عليهم بكل ما أوتي من ظلم، ويروح يختلق أقاويل وقصصًا عن بُرءَاء آمنين في بيوتهم.. إن الذي يجب أن يُحاكم يا سيادة**

القاضي هو ذلك المجتمع أنا وممثل النيابة والحاضرون ومن هم خارج القاعة، نحن الذين نصنع من الأبرياء مجرمين ونضطرهم إلى أن يكونوا ذئابا .

القاضي مقاطعا الدفاع:

- **يا أستاذ أنت لست في مفوضية الأمم المتحدة، أو اجتماع موسع لهيئة من هيئات حقوق الإنسان، أنت في محكمة، تنظر قضايا على ضوء قوانين، وعلى الدفاع أن يستشفع بأدلة حتى يُبرّأ موكله، أو يعجز فتثبت عليه تهمته .**
- **أعي هذا يا سيادة القاضي، ولكن التمس لي عذرا فلقد سئمت هذا المجتمع البغيض، ولما قرأت أوراق القضية واعترافات المتهم، ولم ينكر شيئا مما وجهته له النيابة وأنه قتل أختها التي تركت المنزل من سنوات هروبا من زوج أمها الذي يتعقبها في كل شيء ويُضيّق عليها، فأشفقت عليه مع جُرْمه،**

فوقعت عيناي على كلمات منه أحسست فيها بوجع خالطه صدقه ورافقه .

القاضي موجها كلامه للمتهم بعد أن سمع كلمات الدفاع الذي بدا على كل ملامحه وكلامه التأثر:

- أختك يا عماد، شقيقة فؤادك وحبيبة قلبك كيف أقدمت على قتلها ؟
- رغما عني يا أفندم والله، لا أدري كيف فعلت هذا؟ لكن أنا انتصرت لشرفي وطهّرت عرضي .
- ألم تعرف تطهير عرضك قبل سابق، وأنت الذي قلت إنها تركت البيت بعد ما طلق أبوك أمك وتزوجت أمك بآخر اضهدكما، فتركت البيت، وظلت عامين لا تعرفان عنها شيئا، حتى أسرّت لك بمكانها، وأنها مستأجرة شقة ؟!
- أعرف كل هذا يا أفندم!
- ألم تسأل حينها من أين لكِ بهذا المال؟ ألم تجرِ دماء

النخوة والشرف في عروقك لتردعها قبل أن يتفاقم الأمر؟!

- **كنت أعرف كل هذا، ولكن حبي لها طوقني وخفت مرارا أن أسألها لأؤكد شكوكي ناحيتها، وكان شيطاني دوما يدفعني لهذا، ولكنها كانت ملاكا أمامي، وتحبني أكثر من نفسي ونفسها.. تعلم يا سيادة القاضي؛ قد كانت تغدق عليّ من المال ما أحتاج وما لم، كانت أحدث الهواتف النقّالة معي، كانت تقدم لي أشهى الأكل، كنتُ بالنسبة إليها الجانب المضيء من حياتها، وكانت كل حياتها بؤسا وشقاء، ولم تشأ أن تشعرني بذلك، كنت أسمع من الناس على المقهى وفي الشارع ما يندى له الجبين، وتعريضا لي بالكلام، فكنت كثيرا ما أتجاهل كل هذا .**

القاضي مقاطعا:

- **نعم، لا بد أن تتجاهل؛ فمقابل الكلام تأخذ أموالا منها**

حتى تأخذ نخوتك إجازة !

صمت وانكسار من المتهم، ودمعتان تتدحرجان منه حاول كثيرا أن يدفعهما، لكنهما غالبتاه لمجرد أن طأطأ برأسه في ذلة وانكسار، إلا أن المتهم لا يستطيع أن يكتم أكثر من هذا ما ضاقت به نفسه، فيصرخ في صمت عاجز:

- لا يا سيادة القاضي، لم يكن كما تصف سيادتكم، ولكني كنتُ أصرف عن تفكيري ما تحدثني به نفسي، ويتغمّز به الناس ويتلمزون، كنت أقول لنفسي الناس تهوّل وتختلق قصصا، كنت أنظر إليها بعين البراءة والطهر، كنت أجلس معها الساعات والساعات فلا ألحظ عليها شيئا، وأجلس ولا تريدني أن أنصرف، وكذلك هي أشد وأكثر، ربما أن الأوقات التي كنت أذهب فيها لم يكن بها شيء، لكننا كنا نجلس فنقتسم هموم الدنيا وتزيحها هي عني بكلمات حانية ونظرات عطوفة، وتكتفي هي أن تنظر إليّ، وقد مزقتها

الهموم والحياة التي تحياها! إلى أن ضاقت نفسي مني من تكذيبي لها، حتى رأيت بأم عيني والناس يتناقلون على هواتفهم صورا لها وهي في أوضاع (انكسار شديد) فذهبت إليها كعادتي، وأنا لا أدري ماذا سأصنع؟ هل سأواجهها بما رأيته؟ هل سأضربها وأقتادها معي؟ ولكن إلى أين؟ استقبلتني كعادتها بذراعين مفتوحتين، وأنا صافٌ يدي بجانبي، فجزعَت تظن أن بي وجعا بجسمي، ولا تعلم أني ممزق من داخلي، أجلستني وأخذت تمسح على جبيني، وتسألني هل تريد مالا؟ زوج أمك استفزك مرة أخرى؟ وأنا أنظر إليها نظرات تعيسة، وكأنني أقول لها لماذا فعلتِ هذا؟ لماذا أقدمتِ على ما وضعني في الوحل أمام الناس؟ وفي الحين ذاته أشفق عليها وأقول لو لم تكن هذه الظروف لكنتِ غير ذلك، فأنتِ الملاك الطاهر البريء، أعرفك وأعرف قلبك المتسع للحياة، الباسم رغم هول ما يفجعه، كان كل شيء

بيننا كلمات حائرة منها تريد أن تطمئن قلبها الشغوف بي والقلق عليّ، وأنا أحدثها بنظراتي التعيسة إليها، ولم تَطُل نظراتي إليها، دخلت المطبخ لتحضر إليّ وعاء به حبات التفّاح الطازج ومعها سكين تقطع لي التفاح، وتقول لي: كُلْ بعضا من التفاح حتى أعد لك الطعام!.. مزقني حنانها عليّ، ورفقها بي وحبها المطلق، وما أن استدارت لتعود إلى المطبخ حتى وجدت الشيطان يمسك بالسكين ليعطيني إياها، فأمسكتها جيدا بقلب الخائف وعقل الغادر، وقبضت على كتفها لأطعنها الطعنة الأولى بجانبها، فنظرت واستسلمت، فغاب عقلي، ورحت أهوي عليها بطعنات لا أدري لها عددا، وهي تقول: (أخيرا هتريحني من الدنيا دي)، لم تصرخ ولم تقاوم ولم تفر مني، سقطت على الأرض ولم تسقط عيناها عني، لوحّت بيدها لي أن انصرف حتى لا أُتهم فيها، لكني لازمت صمتا وجمودا، فأشارت إلي أنها تريد

حضني، فهويت عليها ودموعي تسبقني حين عاد قلبي إليّ قبل عقلي، وهي تقول: (سامحني يا حبيبي غصب عني) .. (بكاء شديد من إسماعيل) اعدمني يا سيادة القاضي، ريحني كما استراحت أختي، ابعدني عن هذه الدنيا، بل هي ليست دنيا، هي جحيم وعذاب لكل فقير محتاج !!

- لا حول ولا قوة إلا بالله ! يا عماد ..

عماد يحاول أن يرفع وجهه للقاضي، ولكن تغلبه دموعه، والصمت والتأثر يعمّان المكان، وينادي عليه القاضي مرة أخرى، ليرفع رأسه في ذلة وأسف .

- يا بني استغفر الله، واطلب من الله أن تسامحك أختك، ولا تلتفت لمجتمعك كثيرا، وحاول أن تبدأ بعد ذلك حياة جديدة، حكمت المحكمة حضوريا على المتهم عماد علي إسماعيل مهني بالسجن خمسة عشر عاما مع الشغل والنفاذ، رُفِعت الجلسة . . .

لو أن الأمر بيدي..!

صفحة جديدة من صفحات قاعة المحكمة، تقلبها يد الحاجب الذي لازال ماكثا على باب لصيق بغرفة المداولة، وقد اتخذ لنفسه كرسيا يتناوب الجلوس عليه من وقت لآخر، والناس هم الناس لم يتغيروا، تغيّرت الوجوه ولكن نفس المشاكل والقضايا، مع شيء من الحداثة التي طرأت على حياتهم، فطرأت بالتبعية على مشاكلهم .

الضجيج يعلو المكان، وعبارات السلام والأشواق ورسالات التطمين تتناقلها الأعين من بين ثنايا القفص الحديدي الذي حجب الأجسام ولم يحجب الأشواق .

لكن هذه المرة داخل القفص أربعة رجال وثلاث نسوة، يظهر من هيئتهم أنهم مختلفو الهيئة والشكل والحالة إلا أنه على ما يبدو يجمعهم عمل مشترك، أو تلفهم أوراق قضية واحدة، تبدو الحسرة في عيونهم، والأمل بعيد عن خيال بعضهم .

يقف الحاجب مزمجرا بصوته بعد أن انتفض واقفا ليعلن دخول القاضي ومستشاريه، مكررا هذه الكلمة التي اعتادها واعتادته:

- محكمة ..

صمت يعم المكان، والجميع يقفون، ويعتدل من بالقفص قد ارتعدت فرائص كثير منهم، والسبعة سالفو الذكر يبتلعون ما تبقى من لُعابهم !

- نادِ على القضية، وانظر حضور المتهمين .
- قضية رقم ٧٨٥٦٩ جنايات القاهرة والمتهم فيها عبد الصبور متعال محمود ويوسف محمد عابدين ومصطفى عبد ربه العاصي وياسر سلامة توفيق وحسنية عبد النعيم الجن وريهام سلامة توفيق وليلى عادل محمود، وكلهم حضور يا افندم .

وكان السبعة أسرة واحدة، ولكنها أسرةُ شر، اجتمعت قلوبهم على غير رضا الخالق، وعقدوا النية والعزم على

ما تشيب له الأجنّة، وما صار وحشا يهدّد مجتمعاتنا حديثا، كل واحد ينطق الحاجب اسمه لا يستطيع أن يخرج كلمة (نعم) استجابة منه على حضوره وإعلانه أنه في قفص المحاكمة، وكثير ممن بالقاعة يتساءل من هؤلاء؟ وبعضهم لا يستطيع أن يطيل التفكير والتحديق فيهم، فلقد انشغل بما هو فيه من همٍ يكابده ويعانيه .

لكن المنصة أمام القاضي قد اجتمعت عليها وتسابقت إليها أجهزة تسجيل الصوت وعليها شعارات لقنوات عدّة، وكاميرات القنوات هذه قد تنحت جانبي القاعة لتأخذ مكانها، وكأن الأمر جلل، وهو جلل حقا، وأي جلل بعده؟! لكن القاضي يقطع تفكيرنا وانشغالنا بمن هؤلاء؟ ليوجه نداءه للمثل النيابة العامة ليعلن من هؤلاء؟

- ممثل النيابة، يتفضل .
- سيدي القاضي، حضرات المستشارين، هيئة المحكمة الموقرة، إن القضية الماثلة أمام عدالتكم الآن لا أجد

نعوتا تفي حقها من الخسة والحيوانية، ومن الغدر والإجرام، فلقد تفشّى هذا المرض في مجتمعنا، جسد هذه الأمة المسكينة، التي تجد زهرات حياتها وبراعم مستقبلها وهو بين براثن الذئاب لتحرمها أعظم حقوقها، وهو حق الحياة والتمتع بأسرة هادئة مستقرة بين أبٍ حانٍ عطوف وأم تملؤها الرحمة.. إن الثُلّة المجرمة الماثلة أمامكم الآن هي عصابة مجرمة، ولكنها من طراز فريد، تخصصوا في خطف الأطفال والإتجار بأعضائهم، يتزعمهم هذا الطبيب عبد الصبور متعال محمود الذي أقسم يمين الله على أن يحافظ على شرف مهنته، يعاونه تلميذه يوسف محمد عابدين الذي لا يقل جرما عن أستاذه، والممرضة ريهام سلامة توفيق، أما باقي المتهمين فهم طائفة من السوقة والمتسولين يجوبون الشوارع والحواري والأزقة والنجوع، حتى كفور الأرياف وقرى الصعيد لم تسلم من شرهم.. ينزلون الطرقات

ويلاعبون براءة الأطفال، ويهدهدونهم ويلاطفونهم، حتى إذا ما اطمأنوا إليهم، وهم البُرءاء الأنقياء، استاقوهم معهم في مركبة (التكتك) وأسقوهم شيئا من مخدر ممزوج بشراب عصير، ولا يفيق الطفل إلا في مشرحة عظيمة، راقدا على سرير وتحته دماء مَنْ سبقه.. يفيق الطفل البريء ممن يختطفونه على أصوات تهمهم حوله، وينظر بعينين محملقتين فيرى من يلبس جلبابا أبيض حول فمه كمامة، على الجلباب آثار الدماء، وصرخات من كبير السحرة والشياطين هذا الدكتور الفاجر في مساعده وممرضته لينجزا له الاستعدادات اللازمة لكي ينتهي من عمله المجرم الوضيع.. يفيق الطفل ويبحث عن وجه أمه، أو يتحسس صوت أبيه، فيرتد خائب الأمل بائس الفؤاد، وقلبه لم يعرف الانكسار من قبل إلا على قطعة حلوى وقعت منه على الأرض! لو كان كبيرا يافعا لعرف قلبه أو أوهمه أنه في كابوس سيفيق

عما قليل على صوت أمه تربت على كتفيه الصغيرين وتضمه إلى صدرها الحنون، وقبلة هادئة ستطبعها على أنحاء متفرقة من وجهه، بل إنه ينتظر أمه أن تأتي إليه، ولكنه لن تأتي! فلا يجد إلا البكاء الممزوج بالخوف والذعر منفذا لما فيه، يبكي ويُبكي كل أرجاء المكان الذي هو فيه، يبكي لحاله السرير الذي حمله، والجدران التي تلفه، لكن المجرمين هؤلاء سرعان ما ينتبهون إلى صوته، فيسارع التلميذ البائس مساعد الشيطان بحقنة قد أعدها ليحقنه بمخدر (البينج)، فيفارق الطفل عالمنا إلى عالمه حيث سيلتقي بأمه عما قليل كما يظن، ولا يعلم أنه عما قليل ستهدهده ملائكة الرحمن لتأخذ روحه من هؤلاء المجرمين.. هؤلاء المجرمون يا سيادة القاضي يضعون الطفل أمامهم وينزعون عنه ملابسه، ليقوم الشيطان الكبير بتشريح جسده، وأخذ جملة من أعضائه ليضعها في ثلاجة مجهزة،

ويرسلها إلى عملاء الظلام خارج بلادنا.. عذرا إن أطلت عليكم وعلى هيئتكم الموقرة، ولكن الأمر جد خطير، وإنني أطالب بتوقيع أقصى العقوبة على هؤلاء المجرمين جميعا بلا استثناء، وتنفيذ نصوص مواد الإحالة الواردة لدى حضراتكم بقانون العقوبات.

بعد أن أنهى ممثل النيابة مرافعته، ضجيج وهمهمة تعم المكان، مقت لمن بالقفص، كثير ممن هم بالقاعة تمنوا لو أتيحت لهم الفرصة فينقضون على السبعة يمزقونهم تمزيقا .

القاضي يشير إلى محامي بعض من هؤلاء المجرمين، فيقوم محامٍ قد اعتدل من جلسته وتهيّأ لهذه القضية الصعبة، إلا أنه قبل أن يتحرك أخذ سيلا من لعنات الناس على أنه يكون شريكا لمثل هؤلاء المجرمين بدفاعه عنهم.

- سيدي القاضي، حضرات المستشارين، حاضر عن المتهمين الأول والثالث والخامسة، ولكن قبل أن أبدأ

كلامي أرجو من الجميع ألا يكونوا قضاة وجلادين، وذلك حتى ينظروا حقيقة الأمر، فكم من متهم رموه الناس بالباطل وهو في الواقع شريف عفيف، مضرب المثل في النقاء والطهارة، وإنني لأعتب على السيد الزميل ممثل النيابة العامة تحامله غير المبرر على موكليّ ..

يقاطعه ممثل النيابة:

- **أنا لم أتحامل ولم أختلق وقائع، كل هذا وغيره ثابت في محضر تحريات المباحث والضبط، وما تم تحريزه من أدوات طبية مستخدمة في مكان غير مرخص ومجهول ومريب أيضا، ثابت في اعترافات المتهمين الثاني والرابع والسادس والسابع على موكليك يا سيادة المحامي المحترم .**

المحامي للقاضي:

- **أنا لم أقاطع السيد ممثل النيابة، فلماذا يقاطعني؟!**

القاضي يومأ برأسه أن استمر .

- **سيدي القاضي أن موكلي السيد الأستاذ الدكتور عبد الصبور متعال واحد من أشهر أطباء المحروسة، وأعماله الخيرية تسبقه، لا يستغني عن تلميذه يوسف محمد عابدين، ومساعدته ريهام سلامة توفيق، هم جميعا فريق طبي من أكفأ وأمهر الأطباء، كم من معضلة في الجراحة العامة استعصت على الكثيرين فكانوا هم لها بالمرصاد .**

القاضي يقاطعه:

- **نحن لا نريد أن نسمع سيرتهم الذاتية ولا إنجازاتهم الطبية، تفضل يا أستاذ وقدّم للمحكمة دفوعك عنهم.**
- **سيدي القاضي ما أقوله هو دفوعي عنهم، فسيرتهم الطيبة واجتهادهم في عملهم ينفي جملة وتفصيلا ما نُسِب إليهم زورا وبهتانا، سيدي الرئيس إن هؤلاء المُحتالين المتهم الثاني والرابع والسادس**

والسابع لما قد دُفِعوا من أعداء النجاح ليختطفوا موكلي إلى هذا المكان المريب ..

القاضي مقاطعا مرة أخرى باستنكار ودهشة:

- **تم خطف الثلاثة؟!**
- **نعم سيادة القاضي، بحيلة دبروها، بعد أن ذهبوا إلى المركز الطبي الخاص بأستاذنا الدكتور المحترم وتوسل المتهم الثاني والرابعة إليه بأن يلحق أمه المسكينة التي تعاني من (غرغرينة) في الساق، فسرعان ما أمر تلميذه وممرضته بجمع أدوات الجراحة وما سيحتاجه ليسعفها ..**

القاضي مرة ثالثة:

- **ولماذا لم يأمرهم بأن يحضروها إلى مقر مركزه الطبي؟!**
- **سيادة القاضي سبق وأن ذكرت أن أستاذنا هو مثال للعطف والخير! لم يشأ أن يتعبهم، فاقتاده إلى هناك،**

وتم إبلاغ المباحث لتأتي على الفور في هذا المكان الموبوء .

صرخة من داخل القفص، بل صرخات:

- كذب والله العظيم كذب، وربنا كذب .

القاضي: لا تتحدث حتى آذن لك، وإلا رحلتَ عن القاعة .

- لا يا افندم نحن نريد الحديث جميعا، اسمح لنا بالكلام بالله عليك يا افندم .
- تفضل، ولكن أليس معك محامٍ يتحدث عنكم ؟
- يا افندم نحن أناس ليس معنا محامٍ ولا أحد يدافع عنا، كل ما قاله المحامي هذا هو كذب والله، الدكتور هذا ومن معه ساومونا بأن نشهد بما قاله المحامي مقابل مبلغ من المال لكل واحد منا مقدره مائتا ألف جنيه، بعد أن نقضي عقوبة بسيطة لن تتعدى الثلاث سنوات، ولكن يا افندم عرفنا أننا هكذا سنتحمل الامر كله برمته، فحرام يا افندم والله.. والله يا افندم

الدكتور هذا هو الذي أخذنا من الشارع واتفق معنا على إحضار أطفال إلى هذا المكان، وعلى كل طفل خمسة آلاف جنيه، والمجتهد هو الذي يحضر إليه أكبر عدد، و(التكتك) هو من ماله، ومستلزمات التنقل والإيواء في المحافظات أيضا عليه، يا افندم (احنا غلابة والله) .

- **لستم كذلك وإنما أنتم جميعكم شياطين، ها يا محامي الدكتور الخيّر، ما قولك ؟**
- **هذا هراء يا افندم، ومازالوا في تمثليتهم اللعينة .**

من بالقفص مقاطعا،

- **والله ليست تمثيلية، يا افندم ارجع إلى دفتر زيارات السجن تجد أن السيد المحامي طلب زيارتنا ليتحدث إلينا، على الرغم أنه ليس محامينا؛ للاتفاق معنا على تحمّل القضية مقابل ما نطلبه من أموال!!**

خيبة أمل على وجه المحامي أمام المحكمة، وانفلتت الأمور من يديه، وحدث ما لم يعد له حسابا، حسرة على وجه الطبيب الشيطان ومساعديه، والناس ترقب كل هذا كأنها في دار سينما تشاهد مشهدا دراميتكيا!

إلا أن القاضي ينظر إلى المحامي قائلا له:

- **هل عندك شيء آخر؟**
- **ينظر إلى موكليه بأسف، ويوجه نظره للقاضي مطأطأ رأسه:**
- **لا !!**

القاضي بعد أن استمع للجميع، والناس مشدوهة إليه وإلى المحامي حينا آخر، وكذلك الكاميرات التي نصبت تتابع عن كثب ما سيثمر عنه الموقف!

- **والله الذي لا إله إلا هو، والذي لا يجري حكم إلا بأمره وحكمه، ولا يخرج أحد عن سلطانه وحوله، لو أن الأمر موكول إلي ومفوض فيه لقلت فيكم أكثر**

وأكثر، ولشفيت غليل كثيرين، فكم من أمٍ تبكي ابنها ولا تعلم له مكانا وتنتظر عودته حتى الآن! وكم من أب مسكين حُرِم نعمة الإنجاب ردحا من الزمن فرزقه الله ببنت جميلة المنظر حانية اليدين فلم يجدها أمامه! وكم من جدٍ بات كل ليل يهدهد حفيدته وهي تعلو أكتافه، وفجأة ضاعت من على كتفيه فتمنى أن لو افتداها بعمره ! وكم من جدّةٍ كان نور بصرها حفيدها الذي يؤنس ليلها ويزيل وحشته بضحكاته وحكاياته التي لا تملها!

كم من جرم اقترفتموه! وأنتم هكذا لا هم لكم إلا جمع المال، ليتكم سرقتم أو نصبتم واحتلتم، أو غششتم، أو أي جريمة أخرى بدلا من هذه النكراء الشنيعة، وبعد أن استقر إلى ضمير المحكمة ثبوت التهمة على الجميع دون استثناء حكمت المحكمة حضوريا بالإعدام شنقا لجميع المتهمين من الأول حتى السابع..

القاعة: الله أكبر.. الله أكبر..

(لازال قانون خطف الأطفال أو الإتجار فيهم ينص على العقوبة حبس لمدة خمسة عشر عاما، فنأمل من المشرع تعديله)

زهرات شباب الوطن..

تمتليء المحكمة عن بكرة أبيها، وتشديدات وحراسات لم تكن معهودة كثيرة في مثل هذه القاعات، وكاميرات القنوات الفضائية تتسابق لتتخذ لنفسها مكانا، وقفص الاتهام يعجّ بمن فيه من شباب في مقتبل أعمارهم وحداثة سنهم، قد توشحوا جميعا واكتسوا الأبيض، فازدادوا بهاء ونورا، على الرغم من حزن لم يستطع أن يفارق وجوههم.

أما مقاعد المحكمة فامتلأت، وتمنت هذه المقاعد أن ينتهي هذا اليوم لتستريح من وطأة الناس وكثرتهم، ولفيف من المحامين، يتبادلون التحايا، ويتجاذبون الحديث والمناقشات، وفجأة يقطع حبل التخيّل منا الحاجب ليعلن دخول قاضينا الهُمام، قائلا:

- محكـــــمة .
- نادِ على القضية أيها الحاجب .

- قضية رقم ٥٦٩٦ جنايات القاهرة، والمتهم فيها كل من عصام محمود عبدالعال، ورفعت سيد السيد، وعبدالتواب محمود منصور، ورأفت فكري عبد الجواد، ومينا منصور عجايبي، وأحمد هارون خلف ويوسف حسين الشيخ، وياسر عبدربه شبراوي، وإبراهيم علي علي .

كل من هؤلاء الشباب الذين أعلن الحاجب أسمائهم في هذه القضية يعلن أنه حاضر بكلمة واحدة (نعم أو أفندم)، والقاضي يتصفح وجوههم، والحاجب يتلو اسما تلو الآخر، شباب يُرى من سمتهم أنهم شباب جامعة، فماذا اقترفوا؟ هل هو تشكيل عصابي؟ أم ثُلّة مجرمة تخصصت في النصب والاحتيال على زملائهم؟ أم أنهم قاموا بالتعدي على أحد أساتذتهم؟ لم يكن شيئا من هذا كله، وإنما .. دعونا نتابع القاعة حتى نعرف جميعا .

القاضي للمثل النائب العام:

- تفضل أيها الوكيل للنائب العام بادعائك .

يعتدل وينهض ممثل النائب العام، ليقص لنا جُرْم هؤلاء.

- سيادة القاضي، أعضاء الهيئة الموقرة، إن هؤلاء الشباب الماثلين أمام عدالتكم قد اقترفوا جرما شنيعا في حق الوطن، جرم لا نعتقد أن وطنهم سيسامحهم أو سيغفر لهم، هؤلاء الشباب قاموا بالاتفاق سرا والتدبير ليلا على تكدير السلم العام وترويع زملائهم، وتهديد مصالح الجامعة التي يتعلمون فيها، هؤلاء اتفقوا وخططوا على زعزعة الأمن والاستقرار اللذان تنعمان به بلادنا، تاركين ما خوّله أولياء أمورهم له، تاركين أحلاما لآبائهم وأمهاتهم، وهم الذين يسهرون لراحتهم ويستحثونهم أن يعكفوا على العلم لا شيء غيره.. تناسوا كل هذا واستسلموا لوساوس خداعة، لم يكن لها مكان أو مأوى إلا صفحات الأوهام على (الفيس بوك)، وراحوا يتظاهرون دون

إذن أو حتى مجرد العلم لرئيس الجامعة، ويتظاهرون على ماذا؟ لا نعلم سوى أن بعض السياسات من القيادة الرشيدة لم تصل إلى مستوى عقولهم وانضمت إليهم في الخفاء مجموعة أخرى لتحطم وتخرب وتروّع، وهم لا يعنيهم شيء سوى التظاهر وحب الظهور، وتسليط الأضواء عليهم!!، الهيئة الموقرة، إن الفترة التي تمر بها بلادنا إنما هي مرحلة عصيبة، لابد أن تأخذ وتشد على كل يد بالقانون، حتى تنجو سفينة الوطن، وإننا نطالب بتطبيق القانون على هؤلاء ليكونوا عبرة لكل من تسوّل له نفسه بمثل هذا، ونشكركم سيادة القاضي .

هرج تضيق به جنبات المحكمة، ومقتٌ من كل عين في قفص الاتهام ترمق بها ممثل النيابة على ما قال، وتمنوا جميعا في قرارات أنفسهم ـ كما يعتقدون ـ أن لو أنصفت النيابة وقالت قولة الحق، لكن القاضي يضرب بجاكوشه

الخشبي على منصته، ليعود الجميع للهدوء، ويطلب من الدفاع أن يتفضل، ولكنه يرى محامين كثيرين، فيبادرهم قائلا:

- من منكم سيتفضل أولا ؟
- جميعهم في صوت واحد: لقد فوّضنا الأستاذ الدكتور محب يسّى منصور للدفاع، وجميعنا سيتضامن مع دفوعه ومرافعته .
- إذن تفضل يا أستاذ .

يتقدم منصة الدفاع رجل قد تجاوز العقد الخمسين من عمره، وكسى الشيبُ شعرَه، ولم يهتم كثيرا بترحيله، لديه نظارة قد انخفضت أسفل عينيه، وهو ينظر من أعلاها، ولديه أوراق كثيرة داخل حقيبته وخارجها، حتى يهتدي واقفا بين يدي المحكمة، ويبدأ في مرافعته:

- سيادة القاضي حضرات المستشارين، الجمع الكريم، أولا سيادة القاضي قبل أن أبدأ في مرافعتي أطلب

من عدالة المحكمة ورحمتها التي تطبقها وتنادي بها قبل عدلها وإنصافها أن تنظر إلى قفص الاتهام وترى من يمثلون فيه، وأطلب من الجميع أيضا النظر إلى قفص الاتهام، كذلك ابننا المحترم الوقور الخائف على بلده والمحب لوطنه السيد ممثل النيابة أن ينظر إلى قفص الاتهام، أطلب منكم جميعا أن تنظروا إلى قفص الاتهام وتخيّلوا معي أن زهرات الشباب التي تمْثُل داخل القفص بالأبيض من اللباس تخيلوا جميعا أنهم أبناؤكم، وافترضوا ـ جدلا ـ أنهم تمردوا عليكم! سيادة القاضي إن مثل هؤلاء الشباب لم يكن في مخيلتهم تخريب وطنهم أو الدفع به في مهاوي الفتنة والتخريب، وإنما خرجوا معبرين عن آرائهم، ولا نشك جميعا أن الدستور قد كفل حق التعبير عن الرأي، دون تخريب أو ترويع للآمنين، وهم ماذا فعلوا أكثر من هذا؟.. إن ممثل النائب العام يدعي أنهم قد انضم إليهم من خرّب، فما الذي نتج

عن هذا التخريب؟ وما الذي تم تخريبه؟ إن محاضر الشرطة ونقطة الجامعة لم تسجل أية أعمال تخريبية، أو شكاوي تتهم فيها هذه المظاهرة أنها فعلت شيئا تخريبيا أو غير ذلك، سوى أنهم قاموا بالهتاف وجابوا جامعتهم، انضم إليهم زملاؤهم يعبرون معهم ويشاركونهم.. سيدي الرئيس أنا أطالب مع ابننا ممثل النيابة أن نأخذ بحزم على كل يد تمتد إلى هذا الوطن الذي يبحث عن الأمن والاستقرار ولو في قصص تُحكى له، ولكن أن تكون عيوننا بصيرة بمن يخرب، لا نلصق تهما - سهوا - أو نتسرع في الاقتياد للأحكام التي من شأنها أن تجعل من الأبرياء مجرمين قتلة.. سيدي الرئيس هؤلاء الشباب لابد من حضانتهم واحتوائهم، لابد للقيادات السياسية والأنظمة الحاكمة أن تحتويهم، وأن تقدم لهم ما يفتقدونه من خبرة كافية، ومعلومة صادقة، ومشاركة حقيقية ومجال كافٍ صادق للتعبير

عن آرائهم، لا مجرد اجتماعات يحسون فيها أنهم يُخدعون، حتى لا يقعوا أسرى في يد من يريد خراب الوطن، وتهديده وزعزعة أمنه.. سيدي الرئيس، إن مثل هؤلاء الشباب وغيرهم قنابل موقوتة، وهناك بعض السادة المسئولين في مناصبهم – ولو كان مجرد أمين شرطة - هناك بعضهم من يحوّل الشباب هؤلاء إلى مجرمين قتلة، فيزج بهم في غياهب السجون دون أدنى جرم اقترفوه، لمجرد تحريات وهمية أو شكاوٍ كيدية، أو حتى على سبيل التعبير عن الرأي بشرف وطهر، فيحولونهم إلى إرهاب حقيقي، لكنه أخطر من أي نوع من الإرهاب، ويجدون من يضمونهم ويقدمون لهم ما يحتاجونه من شفاء غليلهم لمجرد أن أهوج أو أحمق قد استغل منصبه أو تساهل في دوره فزج بهم في غياهب السجن زورا وبهتانا.. سيدي الرئيس، لا أحب أن أطيل الكلام، فلقد قلت ما عندي، وإنني

أستبيح المحكمة عذرا أن تنظر مرة أخرى إلى هؤلاء بعين الأب الحاني، الذي يُقوّم اعوجاجا في أبنائه لو رآه، بدلا من أن يعاقبهم، وأن يضمهم إليه بدلا من أن يجلدهم، وأن ينتصر لهم على أنفسهم بدلا من أن يستثيرها ضده وضدهم.. سيدي الرئيس، أعتذر منكم كثيرا أنني تعديت على حق زملائي ففوضوني وتضامنوا معي، وهم أحق مني، وإنني ختاما أطالب بالبراءة للجميع .

تصفيق حاد من جميع القاعة على هذه المرافعة، التي أراد فيها هذا المحامي أن يستبين الحق بين يدي المحكمة، وأن يكشف للجميع أن التقويم والعلاج خير من الجلد والعقاب، وآمال تعلقت بكلمات المحامي رغبة من ذوي الشباب وأهليهم أن يلين قلب المحكمة وتأخذ به .

القاضي يطلب من الجميع الهدوء، ويقول:

- الحكم بعد المداولة .

ينهض القاضي، ومعه مستشاراه ويغادرون القاعة، والحاجب يقف سريعا، والقاعة تمتلأ بالصيحات، ورسالات التطمين تتطاير من خارج القفص إلى داخله، ومجموعة المحامين التفوا حول هذا المحامي المفوه السيد محب، ويشكرونه على مرافعته العصماء التي أثلج بها صدر الجميع، وكل محامٍ يلتفت إلى موكليه ليطمئنهم، أو لو كان حكما سيكون مخففا، ولا تمر الساعة حتى يأتي الحاجب ليقول:

- محكمة .

يدخل القاضي ومعه المستشاران، والناس تحاول أن تلتمس بصيص أمل في وجه القاضي، ويجلس القاضي، ويشير للجميع بالجلوس، ثم يتوجه بالحديث إلى الشباب:

- أيها الأبناء للوطن قبل أن تكونوا أبناء لنا، لقد وقر في ضمير المحكمة، بعد مراجعة أقوالكم أنما ما

فعلتم ما فعلتموه بتدبير شيطاني، والشيطان يظهر وإن تخفى في ثياب الملائكة! وإنما كان تعبيرا عن آرائكم، ولكن البلاد تمر بفترة عصيبة، تحتاج من الجميع إلى التكاتف ونبذ التشاحن، تحتاج إلى المكاشفة والمصالحة مع أنفسنا أولا قبل أن تكون مع بعضنا، وذلك حتى نكشف عدونا ونتفرغ له، تحتاج إلى مصالحة الجميع للجميع، ونسيان الخلافات والفُرَق لتكون يدا واحدة تبني وتعمر.. تحتاج إليكم وإلى سواعدكم وعقولكم وأنتم أبناؤها وزهرات شبابها، ولن تكون بلادكم بغيركم، وقد جعلكم الله على ثغر عظيم وهو العلم، فتعلموا واجتهدوا وتميّزوا، حتى تكون مشاعل نور لمستقبل مشرق وغد أفضل.. بلادكم في حاجة إليكم، وأي نظام مهما كان رشيدا حاكما حكيما قويا لا يستطيع أن يستغني عن شعبه، خاصة أنتم، ومهما كان مستبدا ظالما متجبرا فلن يستطيع كبتكم وإن توهّم! فكونوا عينه البصيرة

الناقدة له بأدب وتحضر، ويده القوية التي تبني لا تهدم.. حكمت المحكمة حضوريا بالبراءة على جميع المتهمين، وإخلائهم من سرايا النيابة ما لم تكن عليهم أحكام أخرى.

الجميع:

- **الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر .**

يا وجع القلب..!

لا يمر يوم إلا وتجد صفحة جديدة من صفحات الحياة تمْثُلُ أمامك في قاعات المحكمة، حكايات وحكايات، بل أساطير تجدها متجسدة، تشعر حينا أن الدنيا قد أوشكت على أن تنتهي بلا رجعة، فصرنا في آخر الزمان.. خارج القاعات، وفي بهو المحكمة، هذا يجره جاويش قد قيّد يده إلى يده، وتلك تبكي حسرة وتتوسل بلا فائدة، وهذا افترش الأرض من طول الوقوف، ومحامون يتندرون ويتضاحكون، وأحدهم يسأل زميله عن ثمن البزة التي يلبسها، وأفراد من الشرطة قد انطلقوا إلى (البوفيه) ليحتسوا بعضا من الشاي الثقيل نوعا ما، وأشياء وأشياء وأشياء، عالم آخر يعج بالناس، والناس تروسٌ فيه!

نتسرب قليلا إلى قاعة من قاعات المحكمة الكبيرة التي نحن فيها، لنجد الناس مستقرين في مقاعدهم، والقاضي قد دخل قبل أن ندخل نحن إليه وهناك قضية

ينظرها، إلا أن هذه القضية من نوع خاص، ليس لتفرّدها أو تميّزها، ولكن لتكرارها كثيرا كثيرا .

امرأة قد تعلقت بقضبان القفص الحديدي، تحاول أن تدفع دموعا تحتبسها، شفتاها تتمتم تمتمات ليست بغريبة، تفهم منها أنها تتوسل إلى بارئها بأن يُفرّج كربها .

امرأة قد صارت ما بين الأربعين والخمسين، ولو نظرتها لحسبتها ماتت ألف مرة من كثرة ما أُثقِلَت بهموم تبدو عليها، ولا زالت شفتاها تتمتم، ولم ينقطع رجاؤها، تُرى ما الذي أرداها بين هذه القضبان التي لا تعرف ظالما من مظلوم، ولا تستطيع هذه القضبان أيضا أن تصدر حكما سوى أن تحتبس في قعرها كائنا أيا كان ؟!

لكن المرأة لا تستطيع أن تصرف بصرها عمن يجلسون على المقاعد، ترقبهم حينا، وتختلس إليهم النظر كثيرا، فتاتان في عمر الشباب، وثلاث أولاد، أكبرهم يربو على ست عشرة سنة، والأخير لازال عمره يُعدّ على أصابع اليد

الواحدة، تعلّق قلبها ، وانفطر عليهم، وهم يظهرون ما هو أكبر من سنهم، فيتجلدون أمامها وقلوبهم تنزف شوقا إليها، حتى هذا الملاك البريء الذي لم يجرِ عليه القلم يداعبها حين تلتقي عينها بعينيه البريئتين، يداعبها بابتسامات تكوي قلبها، فتحاول أن ترسم بسمة يتمية المشاعر إليه، وهي تذوب، وتذيبنا نحن معها!!

لكن القاضي توجه إليها بالسؤال ليفك الألغاز التي تمزق تفكيرنا، ونحن ننظر إليها ونبكي حالها دون أن نعرفها ونعرف ما تعانيه:

- **يا هدى، أتيتِ إلى هنا ولم تقومي باصطحاب محامٍ ليدافع عنكِ .**
- **يا (بيه) لو أن لدي ما أدفعه للمحامي ما وقفت هنا، ولا تشرفت بالنظر إلى وجهكم الكريم .**
- **لكن المحكمة انتدبت لكِ محاميا وأنتِ رفضتِ وأصررتِ!**
- **أقسم بالله يا أفندم ليس معي ما سأعطيه للمحكمة،**

أو لهذا المحامي!!

تعجب من القاضي واندهاش لفطرتها الطيبة:

- **يا هدى طالما أنكِ تعلمين حالك، وما أنتِ فيه من ظروف حياتك التي تدركينها أكثر من أي أحد، فلماذا تشترين أجهزة كهربائية ولا تسددين ثمنها؟!**
- **يا (بيه) أنا لا أقوم بشراء هذه الأجهزة لأفتح بها محلا لبيعها، ولا أتاجر فيها، ولا أشتريها لكي أتمتع بها ولكماليات لديّ..!**
- **إذن أنتِ من هواة جمعها، كمن يجمع الطوابع !!**
- **لا والله يا (بيه) بل أنا سيدة فقيرة الحال بسيطة الحياة أكثر مما تتخيّل لديّ أولادي زهرات عمري ونور فؤادي الذين اكتوى قلبي بفراقهم، واكتويت الآن بأن يأتوا إلى هنا وينظرونني هكذا، زادت متطلبات الحياة، وغلت الأسعار حتى قفزت إلى ما لا نتخيله يوما.. خشيت على عيالي وعليَّ قسوة**

الحياة، وخفت أن ألجأ يوما إلى ما لا أحمده، وعزّت نفسي وأبت كرامتي أن تمتد يدي لأحد، أو تنتظر عفوا وإحسانا في وقت الكل مشغول بنفسه، وكأنه يوم القيامة!

- وأين زوجكِ يا امرأة من خضم الحياة ومآسيها ؟
- زوجي الله يرحمه .
- مات؟
- لم يمت، بل في عِداد الموتى، لما قست الحياة وزادت طلبات عيالي، عجز أن يفي لهم بضرورياتهم، إن أحضر طعاما اليوم جعنا أياما لضيق ذات يده، فما كان منه إلا أن يهرب من الحياة كلها، صحونا يوما لنجد ورقة مكتوب فيها (سامحوني أنا ماشي) .

خيال تحكيه السيدة، لكنه واقع معيش، تحكي وقلبها ممزق على أنها تسمع أولادها وبنتيها هذه الكلمات أمام الناس، ألم شديد وهي تقول قصة حياتها التي تريد أن

تخفيها عن الجميع، والجميع في القاعة ينظرون الموقف. والقاضي تحسب أنه لا يوجد لديه سوى هذه القضية التي أخذت بكل كيانه، وكأنها وقعت لديه على نهاية الدنيا حقا، وكأنه يرى أنها رسالة من ربه على ما فيه من النعم وغيره يكتوي من الحرمان في كل شيء، فراح يستمع إليها !!

- **لكن ما الذي دفعكِ أن تشتري كل هذه الأجهزة، ولا تستطيعين سداد ثمنها ؟**
- **لم أشترِ جهازا واحدا سيادة القاضي !**
- **محاضر الشرطة وأوراق القضية تقول بأنكِ اشتريت ووقعت على نفسك إيصالات أمانة، وسددت أجزاء وبقيت أخرى لم تقومي بتسديدها ..**
- **ولن أستطيع سدادها، أنا لم أشترِ شيئا، أنا مع حاجتي للمال وعدم قبول أحد أن أعمل أي عمل، كنت أذهب لمحال الأجهزة أقترض أموالا، ذلك بأنني**

كنت أشتري أجهزة بمبلغ معين وأوقع إيصالات الأمانة،في نفس الوقت أبيع نفس الأجهزة لأصحاب المحال أنفسهم بمبلغ أقل، فيعطونني هذا المبلغ، وتبقى الأجهزة مكانها، لم أشترِ شيئا أو أحمله أبدا.

- **لا حول ولا قوة إلا بالله، هذا الربا بعينه!**
- **ربا أو ليس ربا، هذا هو الأمر برمّته، ثم تراكمت الديون وتكاثرت، مائة خلف مائتين من الجنيهات، حتى صارت عشرة آلاف جنيه، وأنا لا أمتلك منها الأصفار من الأرقام فضلا عن واحدها الصحيح !!**
- **تعلمين يا هدى أنكِ مطالبة الآن بدفع هذه العشرة آلاف؟**
- **ومن أين لي بها ؟!**
- **وتعلمين أنكِ لو لم تدفعيها ستودعين في السجن وسأحكم عليكِ بهذا؟**

فجأة طفلها البريء الأصغر صاحب الخمس سنوات ينفلت من أخته التي حملته على حجرها ليتجاوز المقاعد أعلاها، ويتخطى رقاب الناس ومقاعدهم، حتى يلاصق القفص ليحتض أمه من بين القضبان، وهو يبكي ويقول: (لا يا أمي أين ستذهبين)؟

تصرخ الأم وينفجر بركان الألم الذي لم تستطع أن تخفيه، وتبكي بحرقة، وصوت أنفاسها في صدرها يتهدّج، وتمنت أن لو تقتلع القفص لتشم ابنها وتأخذه بين أحضانها، ولم يتمالك بقية أبنائها دموعهم، والقاضي لا يستطيع أن يخفي ما به من تأثر، والناس في ألم من هول ما يرون من آخر الزمان، وهذا الملاك البريء الذي فجّر ما تبقّى فيهم من إنسانية دفنوها مع مطامعهم وشرورهم وعكوفهم على ماديات الحياة .

القاضي يتذكر قولة والده (قاضٍ يا ولدي بقلب طبيب يتحسس أوجاع الناس) وأي وجع تراه يا عمر (بك)؟

أهناك أمرّ ألما وأقسى وجعا من هذا الطفل الذي تجاوز كل شيء ليصعد القضبان ليحتضن أمه التي يخاف أن تفارقه فضلا عن أن يفارقها؟ يأمر القاضي الإنسان عناصرَ الشرطة والحرس أن تحضر الأم بين أبنائها، وتخرجها من القفص الذي حبس الإنسانية وفرق بين أركانها .

تأتي الأم وقد خارت قواها من الألم الذي عضّ قلبها ومزّقه، فيندفع الأبناء كلهم نحوها، وكأنها شجرت تهادت فروعها، كلهم يبكي بصوت واحد، وهي لا تدري ما تفعل تقبّل هذا وتحضن هذه، وتلمس ذلك وتداعب رأس تلك، والناس منهم من لم يستطع التحكم في عينيه فيبكي، ومنهم مشدوه لما يرى .

لكن القاضي لازال لديه المفاجآت، وإنسانيته حتّمت عليه الكثير، وخوفه من سؤال ربه له عن النعمة التي بين يديه جعلته يقول:

- حكمت المحكمة على المتهمة هدى عبدالعال مصطفى

المنياوي بدفع ما عليها من أموال وقيمتها عشرة آلاف جنيه، مع إلزامها بالمصاريف .

جنّ جنون السيدة وارتاع الناس جميعا، والكل يحسب والأم قبلهم أن القاضي أخرجها من براثن القفص لتودّع أبنائها الوداع الأخير قبل أن تمضي بها عناصر الشرطة، وهي تنظر إلى القاضي بكل حسرة وألم ودهشة، لكن القاضي لم يدعها تموت بين يديه في هذا الألم والدهشة إذا أكمل قائلا:

- سأتكفّل أنا يا (ست) هدى بدفع ما عليكِ من أموال، ولكِ فوقها عشرون ألف جنيه أخرى، تشتري بها ما تريدين من ماكينة حياكة أو (كُشكا) تبتاعين فيه بعض أنواع (البقالة)، وما سيتبقى من العشرين ألف هي لكِ وعيالك .

ضرب آخر من ضروب الخيال تراه في هذا المشهد العجيب، الناس لا يصدقون، في آخر الزمان وتجد أحدا

كهذا، نعم.. هناك كثيرون لم تعميهم ماديات الحياة عن مراقبة ربهم والخوف منه، ولم تُدفن إنسانيتهم خلف اللامبالاة بمتاعب الناس وشقائهم .

سقطت المرأة على الأرض ولم تستطع قدماها أن تحملها، فانكب أبناؤها عليها فرحا وبكاء وبهجة، وكأن ربنا قد أرسل إليهم جميعا من يبعث السعادة التي ماتت على أبوابهم قبل أن تطرقها . .

أنيروا العقول.. ولا تجعلوا العثرات أمامهم

هذه القضية يبدو أنها غريبة، والغرابة ليس فقط في ماهيّة القضية، وإنما من حضروا واتخذوا أماكنهم من مقاعد القاعة، ريثما يبدأ القاضي في نظر ما جاءوا لأجله، ترى أن غالبية الحضور من طبقة واحدة، أو من فئة واحدة، كثير منهم يلبس (جاكيت) بزته من (الكاروهات) ورابطة العنق عظيم رأسها، ومنتفخة بالقدر الكبير، ومنهم من فضّل أن يضع عنه رابطة العنق، ومنهم من يرتدي قبعة مثلما كان يتقلدها العقاد أو المازني أو نجيب محفوظ من عمالقة الأدب وأركانه .

غالبية الحضور من هذه الطائفة، وكأنهم جاءوا لأجل قضية واحدة، أو تحسب أن كلهم متهمون في ذات القضية التي جاءوا لأجل واحد منهم، أو قُلْ إنهم متهمون بالتضامن

مع شقيق لهم في هذا المضمار .

القضية كما يسمونها قضية ثقافية عامة، وهؤلاء هم طبقة المثقفين والكُتّاب و(المبدعين)، جاءوا ليشدوا من أزر واحد منهم طرح في الأسواق كتابا من بنات أفكاره، صار قضية الموسم وتحاكى الجميع لما به؛ مما دفع أحد المحامين أن يقيم ضده دعوى يتهمه فيها بازدراء الأديان والنيل من ثوابت الدين وأركانه.

لكن القاضي كالعادة لا يترك لنا كبير فرصة حتى أوضّح لكم الخبايا وما بالقضية وموضوعها، فيعاجلنا كعادته ليدخل، ويمثل الجميع أمامه بالوقوف، بعد أن تُدوي صيحة الحاجب المكان كعادته: (محكمة)، فيدخل في هيبة ووقار،ومعه مستشاراه، ويشير للجميع بالجلوس، ويشير للحاجب أن ينادي على القضية:

- قضية رقم ٢٦٥٨ جنح الجيزة، المقامة من المحامي

عبد الواحد محمود الطويل، ضد الأستاذ أمين بهنسي منصور.

يعاجله القاضي مقاطعا:

- نادِ بدون ألقاب، الجميع هنا سواء، ويقف الجميع مجردا إلا من الحق الذي يأوي إليه، أو يتجنبه إن كان جائرا .

يعجب الجميع من كلمات القاضي، ولا يدري الحاضرون أيرمونه بنظراتهم بالعجب أم بالشذر أن جرّد صاحبهم من لقب (الأستاذ)، لكن في النهاية هي قاعة المحكمة ولها دستورها الخاص، والمسئول عنها القاضي وحده، يشير القاضي إلى المدعي بالحق والمقيم الدعوى، ذلك ليبدأ في عرض خصومته:

- المدعي بالحق والمقيم الدعوى يتفضل .
- سيدي القاضي، حضرات المستشارين، إن قضية اليوم ليست كأي قضية، ولم يوكلني فيها أحد، ولم

أقم بها إلا من باعث واحد فقط، وهو الغيرة على الدين السمح، والخوف على نسيج هذا الوطن وهذه الأمة، الضاربة في غياهب العظمة والأصالة مئات السنين، بل الآلاف إن جاز لنا التعبير.. سيدي القاضي، إن كاتبنا الهُمام حينما خضع لخياله، وأفلت له اللجام، ولم يتقيّد بثوابت يؤمن بها الجميع، وتخطّى حدودا نخضع لها جميعا، أفرز لنا هذا الكتاب الذي يحمل عنوانا يدل عليه، كان العنوان فاجعة كبرى قبل محتواه، فلقد عنونه باسم (لسنا بحاجة إلى دين).. قلت في نفسي لعل العنوان مشوقا، وما بداخله دراسات نظرية موثقة توضح عظمة الدين، ولكن فُجِعت حينما طالعت فصوله وأوراقه وأحسست في قرارة نفسي أن الحروف التي ألّف منها كتابة كانت تتأبّى عليه، لولا أن الله سخر كل ما في الأرض وهذا الكون للإنسان، فيهتدي بها أو يضل.. سيدي الرئيس، إن هذا الكتاب

هو قنبلة شديدة التدمير، تهدم عُرى الدين وثوابته، وتلقى هوى لدى أصحاب النفوس المريضة، وتزعزع من يلتمس عذرا في البعد عن دينه، خاصة وإننا في زمن تتكالب علينا الأمم، يتقاذفوننا كما يهوون، والعرب جميعا رمتهم الأمم عن قوس واحدة.

- القاضي مقاطعا .
- وعليه يا سيادة المحامي، ماذا تريد .
- أريد العدل الذي تمثلونه سيادة القاضي، ومقتضى ما رآه المشرّع في مثل هذه الامور، والأمر بين أيديكم، أوقفته ـ الأمر ـ أمامكم وأنتم خير من يفصل ويقول، لا أزيد عما قلت، أشكر سعة صدر المحكمة.
- شكرا، حضرة الكاتب أمين بهنسي، لم أرَ أنك اتخذت لك محاميا، أم أنك اكتفيت بهذا الجمع من المثقفين والكُتّاب؟

يمثل الكاتب بعد أن يهنض واقفا ليقف مكان المحامي الذي اختصمه، ليقول:

- **لديّ ليسانس في الحقوق يا سيادة القاضي، وماجستير في القانون الدولي، وأرى أنني خير من يدافع عن نفسي، إن كنت مذنبا، وإن كنت أشك في هذا!!**
- **اختر لنفسك شيئا واحدا، إما أن تكون متهما أو محاميا، أو قاضيا، وزيادة من كرم المحكمة تسمح لك بالجمع بين اثنين: متهما ومحاميا، أما الثالثة فهو تعدٍّ على حقنا أيها الأديب والدارس للقانون (ابتسامة خفيفة) .**
- **كما ترى سيادة القاضي، وأعتذر إن خانني تعبيري وانحزت لنفسي وأنا أراها مظلومة هنا .**
- **لا داعي للأسف ، فالأمر لم يحتمل أسفك أو اعتذارا منك، ولكن أخبرني ما ردك على ما قاله المدعي عليك؟**

- سيادة القاضي أنا كاتب معروف ولي كتاباتي التي تتناقل بين الناس، ولا أكتب كتابا واحدا إلا ويسارع الناس إليه، ويقتنونه فيعكفون على قراءته مرات ومرات، هذا الكتاب هو خلاصة تجارب لي، ومنتهى بحث وتمحيص، وما انتهيت إليه من عمق تفكير ومدارسة.. كما أن الله منحنا عقلا نفكر به، ونطيل النظر إلى كل شيء حتى نصل إلى الحقيقة، لا أن نعيش في عصور الظلام، ونظل حبيسين للتأخر والعهود الماضية التي انتهت بزوال أهلها، وأقوال من سبقونا التي نتشبث بها حتى الآن، ولا يستطيع عالم واحد أن يقول ما يجدّد به هذه الأقوال مخافة الهجوم عليه كما أنا حالي الآن، فالله لم يخلقنا لتُكبت الحريات، ويُصادر الفكر، وتُسفّه الآراء بحجة المحافظة على ثوابت الدين، أنا بحثت وفكرت وتعمقت حتى وصلت إلى الحقيقة .

القاضي مقاطعا:

- **الحقيقة التي وصلت إليها أننا (لسنا بحاجة إلى الدين)؟!**
- **أقصد أننا بالفطرة التي فطرنا الله عليها كاملو الأخلاق، ولدينا من الموروث الاجتماعي والعادات والتقاليد ما يكون موجها لسلوكنا، وزاجرا عن انحرافنا إن اعوججنا .**
- **أيها الأديب الباحث إن ما تحكي عنه من العادات والموروث الاجتماعي وغيره إنما هو من صميم الدين، والذي أنشأه هو الدين، ولو استغنينا عن ديننا فلا قيمة لنا.**
- **يا سيادة القاضي أنا لا أقصد تنحية الدين والبعد عنه، قدر ما يكون لنا أخلاقيات هي من موروث اجتماعي محض .**
- **إن العوام إذا ما سمعوا كلامك حتما سيُفتنون، وليس كل الناس منحهم الله البصيرة كي تسبر الغور فتعي ما تريد، كما أنني ألحظ في كلامك أنك تريد أن**

تفصل بين الموروث الاجتماعي وبين الدين، إن الدين وأي ديانة سماوية مسيحية كانت أو يهودية إنما جاءت من عند الخالق لهداية الناس، وإرشادهم الخير، ورسمت لهم طريق السعادة في الدنيا، والعيش سويا في صلاح وأمن، وكل موروث اجتماعي أصله وأساسه وزيادة عليه في كل شرائع ربنا.. أيها الأديب، إن قلمك هذا وقلم كل من على شاكلتك أرجوك من هذه المنصّة أن يكون دليل خير، ولا تذهبوا بعقولكم إلى حيث الشطط، فتكتبوا ما يفسره كل ذي هوى وفق ما يريد.. أنيروا العقول ولا تجعلوا الثرات أمامها، ساعدوا الناس على التعايش، أفردوا مؤلفات عن نماذج الخير في الإسلام والمسيحية حتى اليهودية، بيّنوا للناس أن دعوة الله هي السلام، بدلا من أن تنثروا الشوك في طريق العائدين، والذين غافلتهم الدينا فلم يستطيعوا العودة.

حكمت المحكمة بمصادرة هذا الكتاب وإرجاعه إلى لجنة كبار العلماء بالأزهر، حتى يقولوا فيه كلمتهم.. رُفِعَت الجلسة.

الفهرست

الإهداء.....٣

شكر واجب.....٤

مقدمة.....٥

عمر بك هاشم.....٨

حضانتي لأمي يا سيادة القاضي...١٢

قلة مستضعفة.....٢٩

الشرف الضائع.....٣٩

لو أن ألأمر بيدي.....٥٢

زهرات شباب الوطن.....٦٧

يا وجع القلب.....٧٩

أنيروا العقول ولا تجعلوا العثرات أمامهم.....٩٠